الملخـــــــص

استقرار القبائل العربية في بلاد الشام في صـــدر الاســـلام

اعـــــداد : عامر نجيب موسى ناصـــر

اسم المشرف : الدكتور فالح حسيـــن

إن حركة التطور في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية تسير في خطوط رئيسية ثلاث، إجتماعية واقتصادية وسياسية، ولفهم أي فترة تاريخية معينة)لا بد من الإلمام بهذه الجوانب الثلاث، وليس فهم جانب دون الآخر، ولذا فإن غلبة الاتجاه السياسي على كتابات تاريخ صدر الإسلام، ليوحي للباحث أن تاريخ هذه الفترة يتكوم من مجموعة من الفتن والحروب) دون أن تواكبها تطورات في النواحي الاجتماعية والاقتصادية.

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع حركة الهجرة من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، والتي ابتدأت منذ فترة مبكرة من التاريخ، حتى أصبحت إحدى سمات المجتمع الشرقي القديم، والتي كانت تنتهي باستقرار هذه الجماعات في المناطق الحضرية أو على أطرافها الجافة، وكذلك التعرف على حجم القبائل العربية التي كانت منتشرة في بلاد الشام قبل الإسلام، مما ساعد على سرعة تعريب هذه المنطقة بعد حركة الفتح قبل غيرها من المناطق المفتوحة، خاصة وأن العرب قد احتفظوا بهويتهم الثقافية والحضارية والرد على المقولات التي ترى أن وجود العرب في بلاد الشام كان طارئاً،والتعرف على مجموعة القبائل العربية التي سكنت في بلاد الشام في صدر الإسلام، لأنها أساس النظم الاجتماعية والاقتصادية والإدارية والعسكرية، وملاحظة مجموعة التطورات والتغيرات التي نجمت عن حركة الانتقال من مجتمع البداوة إلى مجتمع التحضر.

كان الدافع لاختيار هذا الموضوع قلة الدراسات التفصيلية حوله، حيث جاءت كفقرة أو فصل في كتاب.

وأمّا المشكلة الرئيسية في هذا البحث، أن معلوماته جاءت مجزأة، حيث لا نجدها تحت عنوان محدد في المصادر، فاقتضى ذلك العودة إلى مختلف المصادر التاريخية والأدبية والجغرافية والادارية والسير والأنساب والفتوح، وكذلك ضرورة العودة إلى عدد كبير من المراجع والمقالات المعتمدة على المصادر اللاتينية والنقوش والحفريات.

ينقسم البحث إلى أربعة فصول، تناول الفصل الأول القبائل العربية في بلاد الشام قبل الإسلام من حيث زمن استقرارها ومناطقها، وأسباب ودوافع الهجرة من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والمناطق المجاورة، وأن الوجود العربي لم يكن وجوداً طارئاً ولكنه يضرب بجذوره عميقاً إذ يعود إلى فترات مبكرة في حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، وكان المصدر الرئيسي لهذه الجماعات من الجزيرة العربية، التي تتميز بمحدودية مواردها والصراع الدائم بين هذه الجماعات على الموارد الاقتصادية، مما كان يدفع الكثير من الجماعات للبحث عن أماكن توفر المياه والمراعي، فكانوا يتجهون نحو أطراف الشام، وجنوب العراق، حيث الأراضي الخصبة وبخاصة عندما كانوا يشعرون بضعف الحكومات المركزية، فكانوا يحاولون التوغل نحو المناطق الداخلية، وقد استطاع العرب إقامة بعض الدول القوية كدولة الأنباط في جنوب الأردن، ومملكة تدمر في البادية السورية.

إن الدولة البيزنطية لم تحاول وقف هذه الهجرات، بل اكتفت بالعمل على تنظيمها والإفادة منها، وعند مجيء الإسلام كان يعيش في حدود الدولة البيزنطية عدد كبير من أبناء القبائل العربية، ففي الشمال كان تنوخ وبهراء وكلب وطيء وفي المنطقة الممتدة إلى الغرب من نهر الخابور على نهر الفرات الشامي قبائل تغلب والنمر، وأما في الوسط فكانت قبليتي سليح وغسان، وعرفت المنطقة الجنوبية من بلاد الشام ببلاد قضاعة فكان بها بهراء وبلي والقين وجذام وعاملة.

يتحدث الفصل الثاني عن القبائل العربية في بلاد الشام زمن الخلافة الراشدة، وابتدأته بالحديث عن الجهود العسكرية والسياسية التي بذلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) لاستقطاب أبناء القبائل العربية في جنوب بلاد الشام، وأن العرب في بداية حركة الفتح قد وقفوا إلى جانب الدولة البيزنطية، ولكن سرعة تقدم حركة الفتح قد دفع بعض القبائل إلى تغيير موقفها والوقوف إلى جانب المسلمين.

إن استعراض القبائل المشاركة في حركة الفتح يؤكد على أن معظم القبائل الفاتحة هي من القبائل اليمانية، وأن حركة الفتح هي إحدى أكبر حركات الهجرة من الجزيرة العربية إلى بلاد الشام، ثم المعاهدات مع أهل البلاد واستقرار المسلمين في مدن بلاد الشام، وفي النهاية القبائل الشامية المشاركة في معركة صفين لأنها تعطينا صورة عن القبائل الشامية في نهاية فترة الخلافة الراشدة.

يتناول الفصل الثالث القبائل العربية في بلاد الشام زمن الخلافة الأموية، ففي الجزء الأول منه ذكر لأسباب ودوافع الهجرة إلى بلاد الشام في صدر الإسلام، فقد اندفع العرب تحت راية الجهاد، مصطحبين معهم أولادهم ونساءهم مما جعل حركة الفتح تمثل أحد حركات الهجرة إلى بلاد الشام وتعريبها هذه المنطقة حتى وقتنا الحالي، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الأحاديث التي تحث على الهجرة لبلاد الشام والمرابطة والجهاد، ومن العوامل الأخرى التي لعبت دوراً في هجرة بعض المجموعات بعض الأحداث السياسية كمقتل الخليفة عثمان بن عفان وثورة ابن الزبير والاقتصادية كالجفاف ودور الدولة والفقهاء على وضع أحاديث تتحدث عن فضائل الشام ومدنها ورفض البداوة.

وفي الجزء الثاني من هذا الفصل، أشرت إلى توزيع القبائل العربية في بلاد الشام في كل جند من الأجناد إبتداءً بجند فلسطين ثم جند الأردن ثم جند دمشق ثم جند حمص ثم جند قنسرين ثم القبائل العربية المستقرة إلى الغرب من نهر الخابور، وأن القبائل العربية الشامية الأصلية قد استمرت في مواضعها، وأن كل قبيلة نزلت في محلة خاصة بها وغالبيتها من القبائل اليمانية.

يتكون الفصل الرابع من العوامل المؤثرة في حركة الاستقرار، وهي الإقطاعات الجماعية والفردية، التي أدت إلى استقرار أعداد كبيرة من القبائل في بلاد الشام، ثم الهجرة المعاكسة إلى المغرب الإسلامي، خاصة وأن فتحها كان بواسطة جند الشام، فذكرت القبائل الشامية التي استقرت في مصر وإفريقية والأندلس، وأما في المشرق الإسلامي فأشرت إلى نزول أهل الشام في العراق وأذربيجان وأرض إيران والهند، وأخيراً العصبية القبلية وأثرها في إحداث بعض التغيرات في التوزيع السكاني كاتخاذ قيس لمدينة قرقيسياء مركزاً رئيسياً لهم، ونزول كلب في منطقة عكا وجنين وفي السواحل، وأن المفاهيم القبلية قد استمرت تلعب دوراً رئيسياً داخل المجتمع العربي الإسلامي بالرغم من إنتقاله من الحياة البدوية إلى الحياة الحضريه.